



في الفن والتربية

مدرس الرسم للأستاذ عزيز أحمد فهمي

وأتجهنا بخطوطه بعد ذلك إلى نقطة تقع فوق هذه القاعدة وتلتق فيها هذه الخطوط ، وإذا كان الشكل تحت مستوى للنظر جعلنا جزءه الأعلى قاعدته وأتجهنا بخطوطه بعد ذلك إلى نقطة تقع أسفل هذه القاعدة وتلتق فيها هذه الخطوط...

أرأيت الآن أني أحفظ الرسم عن ظهر قلب ... وليس هذا فقط ... وإنما قال لنا أيضاً : إن الضوء إذا كان آتياً من اليمين فإن الظل يكون في الشمال ، وإنه إذا كان آتياً من الشمال فإن الظل يكون في اليمين ... فإذا تريد أكثر من ذلك ...

— لا شيء ... وإن مملك لم يقصر ، وكان عليك أن تطبق في رسماك هذه القواعد فتنتجح ...

— صدقني أني أطبقها ، ولكني لا أدري لماذا لا أتجح في الرسم ... لقد كرهته حتى لم أعد أطيع دروسه — لماذا ؟

— أليس في الدنيا شيء ترسمه غير الباذنجانة والطربوش والثقل والصندوق المفتوح والصندوق المغلق ... كل هذه أشياء ثقيلة الظل مثل صاحبها — ومن صاحبها ؟

— الأندى الذي يملأنا الرسم . يدخل للفصل ومعه المنظور ويضعه أمامنا ، ويقول لنا : هو الآن فوق مستوى النظر أو تحت مستوى النظر ، والضوء آت من اليمين أو الشمال ، فارسموه ، ثم يبدأ يطوف بنا ليصحح لنا الأشكال السابقة ، وليأتى نظرة على الشكل الجديد ، وليس عنده غير الضوء والظل ومستوى النظر ...

— وماذا كنت تريد منه أكثر من ذلك ؟ — أنا ؟ ... لا أدري ، ولكن ابن خالي يقص لي قصصاً لذيذة عن معلم الرسم الذي يملأهم ، يقول لي إنه رجل خفيف العقل ، وإنه يضحكهم كثيراً ، وإنه يخرج لهم من جيبه لعباً غريبة ؛ ويقول لهم : أنظروا إليها قليلاً . ثم يقول لهم : أغمضوا أعينكم قليلاً وارسموها بأصابعكم في الهواء وأنتم منغمضون ، ثم يقول لهم : افتحوا أعينكم وارسموها بالأقلام على الورق . وقد أصبح ابن خالي الآن يستطيع أن يرسم رسماً حسناً أحسده عليه — ولماذا لا تتبع أنت هذه الطريقة ... — لأنني لم أر هذه اللعب ؟

لي صديق زرنه ، فرأيت ابنه يرسم بالذنجانة ؛ فسألته لماذا يرسمها فقال لي :

— أستمع لامتحان الملحق

— وهل وقعت في الرسم ؟

— نعم

— وحده ؟

— وحده

— ممكن . على أي حال الرسم هين ، وتستطيع بالثابرة

الخفيفة أن تتقنه بالقدر المطلوب منك

— إنني أرسم كل يوم مائة بالذنجانة ، ومائة قلة ، ومائة طربوش ، ومائة صندوق مفتوح ، ومائة صندوق مغلق ؛ ومع هذا فإن أبي لم يرش من رسم واحد مما أرسم ، فاصنع في أنت مبروفاً ، وقل لي كيف أرسم وكيف أتقن الرسم

— ألم يقل لك مملك الذي كان يملك الرسم في المدرسة كيف ترسم

— قال كثيراً ، ولا زلت أحفظ ما قال حتى إنني لأضمن النجاح في الرسم لو أنهم امتحنوني فيه امتحاناً شفوياً

— أسمعني ما قال لك مملك ...

— قال لي يا سيدي : إن الشكل إما أن يكون في مستوى النظر وإما أن يكون فوق مستوى النظر وإما أن يكون تحت مستوى النظر ، فإذا كان في مستوى النظر رسمناه مستقيماً ، وإذا كان فوق مستوى النظر جعلنا جزءه الأسفل هو القاعدة

أو بتعليم خارج المدرسة ، وكم من معلمى الرسم فى مصر لم عمل يعرفه الجمهور أو لا يعرفه ...

— إن لمعلمى الرسم اتحاداً ، وقد أقام اتحادهم معرضاً زاره وزير المعارف منذ شهر وأثنى عليه ...

— لم يكن فى هذا المرض إلا أشكال بعضها تحت للنظر وبعضها فوق النظر وبعضها فى مستواه . ولم يكن المقصود من هذا المرض إلا أن يلتفت وزير المعارف إلى معلمى الرسم فى مصر قليلاً لأنهم فى الحقيقة مغبون ومظلومون أكثر من غيرهم من المعلمين

— إذن فقد أعجبتك طريقة المعلم الخفيف المعقل

— من غير شك ، لأنها للتدريب الطبيعى للتصور ، والتصور هو أول ما يتطلبه الرسم

— ولكنى لا أزال أطمع فى أن يرتقى تعليم الرسم عندنا إلى أكثر من هذا ، حتى نرى من تلاميذنا اهتماماً بالجمال وإدراكاً له كما نرى ذلك فى أبناء غيرنا من الأمم

— أنا لا أشك فى أن الاهتمام بالجمال موجود عندنا كما أنه موجود عند كل الناس ، ولكن شعبنا لا يزال ينطلق إلى الجمال فى مطارحه الطبيعية كلها حتى إليه ... والذى ينقصنا حقاً هو التفكير فى اختزان صور من الجمال نزرع إليها كلما اشتقنا لها ... وقد يكون السبب فى امتناعنا عن هذا هو فقرنا وعدم ظهور الفنان المصرى الذى يخلد فى صورة من الصور منظرًا يشفق المصريون إلى النظر فيه باستمرار ... وأنا لا أزال أجهل هذا المنظر ...

— لا أظنه منظرًا واحداً هو الذى يجذب المصريين ، فكل منظر يصح أن يجذبهم

— ولم لا ؟ ولكنى أظنهم لا يزالون فى حاجة إلى من يلفتهم إلا مواطن الحسنى فى المناظر الطبيعية وفى المناظر الرسومة ... وهذا من عمل معلم الرسم ، وهو لا يستطيع أن يؤديه إلا إذا كان فناناً حساساً يشوق هو نفسه الجمال ، ويستطيع هو نفسه أن يعبّر عنه ، وهذا المعلم هو الذى يجب على وزارة المعارف أن تبحث عنه أو أن تكونه ... وأظنها قد بدأت تبحث عنه كما أنها قد بدأت

— ليست هذه اللب ضرورية ، فأتستطيع أن تمسك بها أى شيء ... وتستطيع أن تبدأ منذ الآن ... أنظر إلى هذه الشجرة قليلاً . . ثم أغمض عينيك ... ارسمها فى الهواء بأصبعك ... هذا حسن ... والآن ارسمها على الورقة بالقلم ... حال ، حال ... تكاد تكون هى ، أما كان يصح أن تقتبس هذه للطريقة من تلقاء نفسك ...

— كنت أظنها لا تنفع إلا فى اللب ...

— لا ... إنها تنفع فى كل شيء ، وهى وحدها مفتاح الرسم ... وانطلق الولد مسروراً لأنه اهتدى إلى مفتاح الرسم ، وبقي أبوه مى وقال لى :

— أنا أيضاً كنت أرسب فى الرسم لما كنت تلميذاً — وأنا أيضاً

— ولنا وللولد للمدر ، فالرسم موهبة من الله ولا يصح أن نطالب به كل إنسان ، ولست أدري لماذا تصر وزارة المعارف على أن تجعله مادة إجبارية ...

— صحيح أن الرسم موهبة ، ولكن ليس معنى هذا أن تفعل وزارة المعارف تعليمه تلاميذها ، وإنما الواجب أن تعلمهم إياه ، فالوهوب منهم تنكشف بالتعليم موهبته وتنصل ، وغيره يتمكن بالإرشاد والممارسة من الإقبال عليه فى غير كراهية ولا تذمر ، وليس هناك شك فى أن الرسم يربى الذوق البصرى ، وليس هناك شك فى أن كل منصرف يحتاج إلى تربية هذا الذوق فى عينيه إن لم يكن للرسم ففلا لحظة والإدراك ، وتمييز الأشياء ، وإدراك المنظورات ... وهذا هو الذى يحمل وزارة المعارف فى الدنيا كلها على الاهتمام بالرسم والمنايا به . وكل ما فى الأمر أننا هنا لا تزال فى حاجة إلى معلم الرسم الصحيح ، كما أننا لا تزال فى حاجة إلى المعلمين الحقيقيين فى غير الرسم ... وقد يؤلمنى أن أقول لك إن قليلين جداً من المعلمين هم المولعون بما يملكون ، وإن أكثر المعلمين فى مصر يؤدون عملهم على أنه عمل يرتقون منه لا أكثر ولا أقل ... وإلا فقل لى كم من معلمى الأدب فى مصر أدباء ، وكم من معلمى الجغرافيا فى مصر غادروا القطر أو اللدن التى يملكون فيها ، وكم من معلمى الكيمياء فى مصر انشغل بتركيب

تكونه ... فقد بدأت تأخذ معلمى الرسم لمدارسها من خريجي مدرسة للفنون الجميلة للمعيا بمد أن تعلمهم أصول التربية في معهد للتربية ...

— وهل تحسن للظن أنت بمدرسة للفنون الجميلة للمعيا ومعهد التربية ؟

— المدرسة والمعهد فيها أرى يتبعان أضيق الطرق لتخريج الفنانين والمعلمين ، غير أنهما يسمحان لكثيرين من غير الفنانين والمعلمين الوهوبين بالانخراط في مسلكهما ، ويظهر أنهما لا يستطيعان أن يفعا غير ذلك ، لأنهما لو دققا للتدقيق المطلوب في الاختيار ، فإنهما قد لا يقبلان في العام الواحد أكثر من طالب أو طالبين ، وعندئذ تواجه البلاد أزمة فنانين ومعلمين لا قبل لها بها ...

— قد يكون للتساهل معقولا في قبول المعلمين غير الوهوبين لأن البلاد في حاجة إلى عدد كبير منهم ، وهذه الحاجة تتجدد وتريد كل عام ، ولكن ما هو المذر في أن تقبل مدرسة للفنون الجميلة للمعيا شبانا استعدادهم الذي فقير ، أو عادى ؟

— ذلك لأنها مفتوحة الأبواب ، وأنها مدامت كذلك فهي تنفق على نفسها ميزانيتها الربوطة لها ، فسواء أكثر الطلبة فيها أم انفضوا عنها فهي مضطرة إلى المضي في عملها ، وما دام الأمر كذلك فهي تقبل كل عام عدداً ممن يتقدمون إليها حتى لا تغلق أبوابها ...

— ولما كان مستقبل هذه المدرسة مبهماً وغامضاً فإنه لا يقبل عليها إلا من يش من غيرها سواء أكان موهوباً أم كان غير موهوب ، وهذه طريقة لا تؤدي إلى الخير بأى حال من الأحوال — من غير شك ...

— أو ليست هناك طريقة يمكن أن تؤدي إلى الخير ... — إن لم تكن هناك طريقة فن الممكن استحداثها ... نحن الآن في المدرسة الابتدائية ، ولكل تلميذ من تلامذة المدرسة ملف ، هذا الملف لا تجد فيه شيئاً عن التلميذ إلا أنه غاب في يوم كذا ، وحبس في يوم كذا ، وتغدى خبزاً قفاراً في يوم كذا . أما أخلاقه ، وأما عقله ، وأما مواهبه فهذه جميعاً أشياء لا تجد لها

أثر في ملفه ، بينما لو اهتمت كل مدرسة بكل تلميذ من تلاميذها ودرست أخلاقه وعقله ونفسه ، وسجلت من حوادثه وأخباره ما يدل على روحه شهراً شهراً أو عاماً عاماً ، فإن التلميذ ما يكاد يفرغ من مرحلة للتعليم الابتدائي حتى يكون في ملفه صورة ولو غامضة تحدد اتجاهه في الحياة التي هيأته له طبيعته ، فإذا اتبعت هذه الطريقة في المدرسة الثانوية فإنه ما يكاد يفرغ من التعليم الثانوي حتى يكون ملفه ناطقاً بصراحة ووضوح بالعمل الذي لا يصح أن يختار لنفسه غيره . فهذا يثبت الملف أنه سريع الخاطر سليم المنطق ، قوى الفراسة ، صبور ، جذاب يرتاح إلى الناس والناس يرتاحون إليه ، مرشد بطبيعته إلى ما يراه لا يخفى شيئاً مما يعلم فهو إذن يصلح لأن يكون معلماً ، والثاني ذوب اللسان جرىء على المناظرة ، لبق في إظهار الحق متى يشاء وكتابه متى يشاء ، قوى الحجة ... فهو إذن يصلح لأن يكون محامياً ... وهكذا ... لو اتبعت مداوسنا هذه الطريقة فإنها من غير شك تفلح في تعليم تلاميذنا وتوجيههم ، ولكن مدارسنا لا تهتم بشيء أكثر من الامتحانات التولية ونتائجها ، ونسبها الثانوية ... فقط لاغير عزيز أحمد نسيمي

الفصل الأول في الغاية

في تجميع نيل الله المولى حفظه

وهو معجزة أبي العلاء المعري في الشعر

لم يبق منه إلا نسخ محدودة

فاطلب نسختك قبل نفاذها

يبيع في إدارة الرسالة ومئة ٣٠